

التبيان في تفسير القرآن

(11) رسول الله ﷺ لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون (5) خمس آيات. قرأ (خشب) خفيفة ابن كثير وابوعمره والكسائي. وقرأ الباقون (خشب) مثقل. وقرأ نافع وروح وزيد (لووا رؤسهم) خفيفة. الباقون (لووا) مشددة. يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) (إذا جاءك) يا محمد (المنافقون) وهم الذين يطهرون الإيمان ويبطنون الكفر (قالوا نشهد إنك لرسول الله) أي أخبروا بأنهم يعتقدون إنك رسول الله. فقال الله تعالى لنبيه (وا) يعلم إنك لرسوله) على الحقيقة (وا) يشهد أن المنافقين لكاذبون) في قولهم إنهم يعتقدون إنك لرسول الله، وكان إكذابهم في اعتقادهم وأنهم يشهدون ذلك بقلوبهم ولم يكونوا فيما يرجع إلى ألسنتهم، لانهم شهدوا بها بألسنتهم وهم صادقون في ذلك وفي ذلك دلالة على بطلان قول من يقول إن المعرفة ضرورية. وكسرت (إن) لاجل اللام التي هي لام الابتداء التي في الخبر، لان لها صدر الكلام. وإنما زحلت عن موضعها إلى موضع الخبر لئلا تجمع بين حرفي تأكيد، وكانت أحق بالتأخير، لانها غير عامة. وإنما كان لها صدر الكلام، لانها نقلت الجملة إلى معنى التأكيد وكل حرف نقل الجملة عن معنى إلى معنى كان له صدر الكلام، لئلا تختلط الجمل. ثم أخبر تعالى عن هؤلاء المنافقين فقال (اتخذوا أيمانهم جنة) أي ستره يتسترون بها من الكفر لئلا يقتلوا ولا يسبوا ولا تؤخذ أموالهم. والجنة السترة المتخذة لدفع الأذية كالسلاح المتخذ لدفع الجراح، فالجنة السترة، والجنة البستان الذي يجنه الشجر. الجنه والجنون الذي يغطي على العقل. واصل ذلك كله الستر (فصدوا عن سبيل الله) أي منعوا غيرهم عن اتباع سبيل الحق. وقال الضحاك: